مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 16 العدد 1 (السداسي الأول 2024م)
ص. 445- 468

ضوابط ومرتكزات فقه أولويات العمل الدعوي

Guidelines and foundations of jurisprudence priorities Of work Islamic Da'wah

فوزي بلعزايزية
المعهد العالي للحضارة الإسلامية -الزيتونة (تونس)
com.belfof8@gmail

تاريخ الارسال: 2023/10/25 تاريخ القبول: 2024/03/02 تاريخ النشر: 2024/03/30

ملخص:

يهدفُ هذا البحث لبيان أهم الضوابط والركائز في العمل الدعوي، والتي تعتبر من أولوياته إذ تُضفي عليه تميزا وفعالية، وتمهد له الطريق من أجل ضمان الوصول إلى عمل دعوي دقيق وسليم ليتلاءم مع أحوال المدعويين جميعا، حيث يتطلب ذلك فهما عميقا في علم الدعوة إلى الله، على ضوء فهم النفس البشرية، وفهم السنن الاجتماعية، ومعرفة أحكام الشريعة ومقاصدها والدراية بوسائل وأساليب الدعوة إلى الله.

ومن الضوابط المهمة ضوابط على مستوى المضمون، وعلى مستوى الأهداف والغايات، وضوابط على مستوى الوسائل، بالإضافة إلى مرتكزات بمثابة ميثاق للارتقاء بالعمل الدعوي والداعية حتى يكون مواكبا للعصر، يعيش آلام الأمة وآمالها، كما تعرفنا على أهم المصطلحات المتعلقة بمرتكزات أولويات العمل الدعوي كالأصالة الدعوية، والوسطية الدعوية، والواقعية الدعوية، ومدى مساهمتها في إعادة تشكيل العمل الدعوي وتحقيق النجاح في الغاية والمقصد عقيدةً وعلماً ووعياً وفكرًا وثقافةً، وترشيد الدعاة بهدايات الوحي، وإحياء وعيه برسالته الإنسانية، ودوره في إلحاق هدف الدعوة للعالمين).

الكلمات المفتاحية: الأصالة، الواقعية، الوسطية، الدعوة، التبليغ.

Abstract:

This research aims to elucidate the most important controls and foundations in the field of religious work, which are considered a priority as they impart distinctiveness and effectiveness to it, paving the way for the achievement of precise and sound religious work that suits the conditions of all those being invited. This requires a deep understanding of the science of calling to God in light of the understanding of human psychology, social norms, knowledge of the rulings of Sharia and its objectives, and awareness of the means and methods of inviting people to God.

Among these controls are content-related controls, controls related to objectives and goals, and controls related to means, in addition to foundations serving as a charter to enhance religious work and the caller to be in tune with the times, experiencing the pains and hopes of the nation. We also learned about the most important terms related to the foundations of the priorities of religious work, such as the religious authenticity, the religious moderation, and the religious realism, and the extent of their contribution to reshaping religious work and achieving success in its ultimate goal, both in terms of belief, knowledge, awareness, thought, and culture. It also involves guiding the preachers with the light of revelation and reviving their awareness of their human message and their role in delivering the message to all of humanity.

Keyword: Authenticité ; Réalisme ; Modération. Dawah ; preaching.

مقدمة:

أضحى العمل الدعوي من الحقول المعرفية الذي له أهميته وراهينته مما يتطلب إعادة المراجعة والنظر الدائمة في آليات الفهم والتصورات والمُراجعة والتحديث في الممارسة للعملية الدعوية لأنه من أشرف الأعمال، فهو محرك رسالة الإسلام بهدف إيصال الشريعة المُستمدة من الوحي إلى كافة البشر حتى لا يُصبح معزولا عن واقع الناس .

ولكي يتمكن العمل الدعوي من النهوض والاضطلاع بمسؤوليته، لابد له من ضوابط ومرتكزات تعد بمثابة خصائص لا تنفك عنه، حيث يتطلب ذلك فهما عميقا في علم الدعوة إلى الله، على ضوء فهم النفس البشرية، وفهم السنن الاجتماعية، ومعرفة أحكام الشريعة ومقاصدها والدراية بوسائل وأساليب الدعوة إلى الله، وإن إهمال هذه الضوابط والتقنيات الدعوية سيعيق ويعطل حركة العمل الدعوي في الزمان والمكان، وعدم مواكبتها قد يكون مدخلا وتهيئة لاتهام المنتسبين للعمل الدعوي بالرجعية والتخلف الفكري، ولهذا من الضروري والحتمي مواكبة هذه الضوابط والمرتكزات لضمان صلاحية الدعوة في الزمان والمكان.

ولاشك أن تفعيل هذه الضوابط والمرتكزات الدعوية تشتمل على الطرق التي تؤدي إلى تبليغ الدعوة، وهي كثيرة وغير محصورة، ولا جرم أن هذه الضوابط تُعين العمل الدعوي على استمراريته وتمنح له النجاح.

إشكالية البحث: من خلال هذا المنطلق توصلنا إلى طرح الإشكالية التالية:

ما المرتكزات والضوابط الضّامنة لنجاح العمل الدعوي؟

تساؤلات الدراسة:

1. ماهي المرتكزات والضوابط التي تعين على نجاح العمل الدعوي ؟
2. كيف يمكن لهذه المرتكزات والضوابط أن تتقدم بالعمل الدعوي حتى يُحقق أهدافه؟
3. ماهي بعض الضوابط والمرتكزات التي يجب أن يلتزم بها الداعيّة إلى الله في دعوته ؟

المنهج المعتمد: سلكتُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي وذلك بتتبع جزئيات البحث في موضوع فقه أولويات العمل الدعوي من حيث الضوابط والمرتكزات وكذلك الاستفادة من الدراسات السابقة فيه.

خطة البحث:

المبحثُ الأول: الضوابط والمرتكزات – تحديد المفاهيم –

المطلب الأول: الأصالة والمعاصرة

المبحثُ الأول: الضوابط و المرتكزات – تحديد المفاهيم -

لكي يتمكن العمل الدعوي من النهوض والاضطلاع بمسؤوليته، وسعيا من المنتسبين عليه للإرتقاء بهذه المهمة يجب أن يستند على ضوابط ومرتكزات يراها الباحث ضرورية والتي لا يُماري ولا يستنكف عنها القائم بالدعوة إلى الله وذلك من أجل بلوغ هذه الغاية المنشودة، حيث تُعد هذه الأسس والمرتكزات بمثابة خصائص لا تنفك عنه، وسوف نحاول الوقوف على تعريف المرتكزات من حيث اللغة والاصطلاح، ثم نسوق بعض المرتكزات التي نراها تسعى وتعين إلى بسط الحق والخير وتقلل من الخطأ والزلل وتحقق أهداف منهج الدعوة إلى الله تعالى لتتجاوز من المحلية إلى العالمية التي سار عليه الأنبياء والرسل عليهم السلام في بلاغهم.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة "ارتكز على الشَّيء اعتمد عليه واستند إليه[1]"، أما مرتكز فقه أولويات الدعوة التي نعنيها، فهي تلك المواضع التي يؤمر الداعية أو القائم على العمل الدعوي بلزومها والاعتماد عليها، وهي ما يتميز بها. في خطابه دون غيره من الخطابات، ومن خلال الممارسات التطبيقية العملية في شتى مراحل العمل الدعوي الإسلامي تأتي تحت وضع هذه المرتكزات في **المطالب الآتية:**

المطلب الأول: الأصالة والمعاصرة

إن المتتبع والمعايش لواقع العمل الدعوي وأولوياته الدعوية في العصر الحديث والمعاصر يجد مراغما واضطرابا كبيرا، في مسيرته ونهجه وخطابه الدعوي والإسلامي، والأصالة والمعاصرة ثنائية كثر تداولها بين ألسن القائمين عليه، وأحيانا يراودهما الغموض والالتباس والاضطراب.

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008، ج2، مادة: ارتكزَ، ص 935

1- تعريف الأصالة لغة واصطلاحا

الأصالة لغة: جاء في لسان العرب: " أصل: الأَصْلُ: أَسفل كُلِّ شَيْءٍ وَجَمْعُهُ أُصُول لَا يُكَسَّر عَلَى غَيْرِ ذلك، وَهُوَ اليأْصُول يُقَالُ: أَصْلٌ مُؤَصَّل؛ وَاسْتَعْمَلَ ابْنُ جِنِّي الأَصْلِيَّة مَوْضِعَ التَّأَصُّل فَقَالَ: الأَلف وإِن كَانَتْ فِي أَكثر أَحوالها بدلًا أَو زائدة فإِنها إِذا كَانَتْ بَدَلًا مِنْ أَصل جَرَتْ فِي الأَصلية مَجْرَاهُ، وَهَذَا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ الْعَرَبُ إِنما هُوَ شَيْءٌ اسْتَعْمَلَتْهُ الأَوائل فِي بَعْضِ كَلَامِهَا .وأَصُلَ الشيءُ: صَارَ ذَا أَصل؛ قَالَ أُمية الْهُذَلِيُّ[2]:

وَمَا الشُّغْلُ إِلا أَنَّني مُتَهَيِّبٌ..... لعِرْضِكَ، مَا لَمْ تجْعَلِ الشيءَ يَأْصُلُ

فالأصالة في اللغة، تدل في جميع معانيها على الرسوخ، وامتلاك الجذور، والعراقة، إضافة إلى الإبداع والجودة والابتكار.

الأصالة في الاصطلاح: نعني بالأصالة " الانطلاق من قيم الذات ومبادئ الإسلام نحو التعامل مع قضايا العصر"[3] فالأصالة هي استمرارية بالماضي والتراث والتقاليد الإسلامية الحميدة، والتي تراعي الضبط الدعوي، دون إغفال لمعطيات الحاضر وآفاق المستقبل، وعدم التقوقع حول النفس.

ولابد من القائمين على العمل الدعوي من تفهم صحيح، وتمييز واع بين الأصالة والجمود، ليكونوا على بصيرة تمكنهم من تسخيرها لصالح أولويات العمل الدعوي، وتحقيق أهدافه بالابتكار والتميز والتفرد.

2- تعريف المعاصرة لغة واصطلاحا

المعاصرة لغة: اسم مصدره عاصر يعاصر معاصرة، بمعنى عاش معه في عصر واحد وزمن واحد، أما كلمة "عاصر " فعل فهو عصر يعصر، ويعصر عصراً فهو عاصر والمفعول معصور، يعني جددها وحدثها[4]

المعاصرة في الاصطلاح: هي: " الانفتاح على الآخر والاستفادة من معارفه وعلومه لا تقليده، والمعاصرة حيوية دائمة للتفاعل المستمر مع الواقع "[5]

---

[2] ابن منظور، لسان العرب ،ط3، بيروت، دار صادر، عام 1414هـ ج11، ص16.

[3] عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1991، ص 41.

[4] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 507.

[5] محمد محفوظ، معنى المعاصرة، جريدة الرياض، عدد، 16293، الثلاثاء 15ربيع الأول 1434هـ 22 يناير 2013م

والمراد من المعاصرة في الدعوة إلى الله تعالى مرونة الحركة الدعوية وقدرتها على التوافق مع المتغيرات باختلاف الزمان والمكان، وتبدل الظروف والأحوال، مما يسهل عملية العمل الدعوي[6]، وتعني أيضا " أن تستخدم الأساليب والوسائل المعاصرة في خدمة المنهج الذي تؤمن به، وهو المنهج الرباني وتبليغ الدين الإسلامي، ومعالجة القضايا التي تتصدى لمواجهتها، فليس من المبشرات بالنجاح أن ينتقل الداعية على دابة، وينتقل منافسه على (حوامة) [7].

3- أثارالأصالة والمعاصرة في العمل الدعوي

لم تكن مسألة الأصالة في الاجتهادات الفكرية والتشريعية والدعوية في الإسلام مسألة حديثة الولادة بقطع النظر عن طبيعة العنوان والاصطلاح المتخذ للتعبير عنها، ونجد بعض إرهاصاتها في زمن الرسول ﷺ وما بعده مباشرة حينما ظهرت العديد من الاجتهادات الشخصية، ولم تلبس تلك الاجتهادات الشخصية ثوب الرأي الذاتي وإنّما طُرحت على أساس الملاءمة للواقع والانسجام معه ويظهر أثرها فيما يلي:

- المحافظة على ذاتية العمل الإسلامي باستناده إلى الأصول والأدلة الشرعية.
- قيام الدعوة على أسس شرعية ثابتة تستمد مشروعيتها من النصوص الشرعية، وتستند أدلتها إليها، حيث تعتبر الدعوة الى الله تعالى امتداد للرسل الكرام واستمرار لدعوة الرسول الكريم.

وممّا سبق يتضح أن مصطلح الأصالة والابتكار والتميز تكمل معنى المعاصرة، ونابعة منها وكلها تعني القدرة على إنتاج فكري أو دعوي وله مقدرة على التعايش والتطوير والمسايرة لمتطلبات العصر في اتساق مع منهجنا الفكري والإسلامي وعاداتنا وتقاليدنا الموروثة عن الأجداد .

ومن هنا كانت مصطلحات الأصالة وغيرها مُساعدة في تطوير العمل الدعوي، وذلك بامتلاك الداعية إلى الله وسائل المعرفة والوسائل التكنولوجية مع المحافظة على قيمه وعادات وتقاليد المجتمع، وبالمواءمة بين مصطلح الأصالة والمعاصرة، تقضي على معوقات تقدم العمل الدعوي.

---

[6] بتصرف: حسن حنفي، الأصالة والمعاصرة، صحيفة الاتحاد، مقال منشور في 21يونيه 2014م.

[7] عبد الكريم بكار ، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دمشق ، دار القلم ، ط1، ج3، ص 243

ومن القصور والخلل العميق للعمل الدعوي، أن يحبس الداعية نفسه وغيره على ما عرفه السابقون، وكأنما هو الحجر على مواكبة التطور والجديد، فلا يقدر العمل بعد ئذ على الصمود ولا على التدافع الحضاري فضلا عن تحقيق الريادة والسيادة، دون الوقوع في المحاولة والخطأ لمعرفة الماضي برؤية واعية، وتحقيق التواصل الدعوي والوقوف على القضايا المضيئة التي أسهم بها التراث الإسلامي، ومدى فاعلية النص الديني وقدرته على مواكبة التطورات الجديدة بهدف العناية الدعوية الكاملة وهذا من التموقع الحقيقي في العمل الدعوي، وفي هذا الشأن يقول يوسف القرضاوي: «إذا كان المحققون من أئمة الدين وفقهائه قد قرروا أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، والفتوى تتعلق بأحكام الشرع، فإن هذا المنطق ذاته يقول: إن تغيير الدعوة أو الخطاب يتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال أحق وأولى"[8]

وهذا ما يسعى إليه العمل الدعوي، وهو تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه، بحيث يعالج واقعه ويلبي متطلباته، والعمل على مرونة العمل الدعوي وقدرته على التوافق مع المتغيرات باختلاف الزمان والمكان، مما يسهل نجاحه ويسهل له الانتشار والثبات.

ويتم تجديد العمل الدعوي من نواحي عديدة، حيث يبدأ بالاهتمام بصناعة أركان العملية الدعوية وتكوين الدعاة وتأهيلهم وتجديد معارفهم وثقافتهم " فالعناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل أمر بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج، لأن شرطها الأول لم يتحقق وهوّ الدّاعية المهيأ لحمل الرسالة "[9]

ثم تأتي الأصالة والمعاصرة على مستوى الرسالة أو المضامين الدعوية نفسها، حيث ترمز على كل ما يحتاج إليه الناس من معارف ومعلومات متنوعة في دينهم وربط حياتهم بشريعة الإسلام، ومعالجة شتى قضاياهم في إطار المستجدات والتطورات الحاصلة في العالم، ويتسنى ذلك من خلال اتصال الداعية المستمر بمحيطه الضيق والواسع واحتكاكه بالناس واطلاعه على ما يجري حوله، كذلك يتم المسايرة على مستوى الأساليب والوسائل المستعملة في التواصل مع المدعويين، والإبداع في الأفكار والطرق والكيفيات التي يستعان بها على هداية الناس إلى طريق الخلاص والفوز.

[8] ينظر: القرضاوي يوسف ، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، مصر، دار الشروق، ط 1، 2001، ص 13.

[9] القرضاوي يوسف، ثقافة الداعية، باتنة، دار الشهاب، 1988، ص 6 .

المطلب الثاني: الوسطية الدعوية

الوسطية منهج شرعي دعوي بُعث به سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام أولاً، وهي قانون للدعاة حيث تمثل أفضل صياغة للمعادلة بين العقل والنفس ثانياً، ولهذا صار مصطلح "الوسطية" متداولاً بقوة في الخطاب الإسلامي وفي الساحة الدعوية بمختلف خطاباتها المختلفة؛ وأصبحت الدعوة إليها كفكرة وسلوك وعمل في صفوف الدعاة.

1- مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح

الوسطية لغة: كلمة (**وسط**) في اللغة تشمل عدة معان متقاربة الدلالة، حيث جاءت من الفعل توسط فلان أي أخذ الوسطين الجيد والرديء، ووسط فيهم بالعدل والحق، والأوسط هو المعتدل في كل شيء[10]، فلفظ الوسطية يعني العدل، التوازن، التسوية، الإنصاف، الاستقامة .

في لسان العرب: الساقط والنازل والواقع[11] قال **ابن فارس**: " الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه، يدل على سقوط شيء"[12]، و **عند الراغب** أن: "الواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ "وقع" جاء في العذاب والشدائد"[13]

الوسطية اصطلاحا: هي " التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، حيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه "[14]، ومن التعريفات الاصطلاحية المستعملة في الساحة الفكرية والثقافية هي" سلوك محمود مادي أو معنوي، يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين متقابلين، غالبا، أو متفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الافراط والتفريط سواء في دين أو دنيا "[15]،

---

[10] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الهيئة العامة، القاهرة، لشؤون المطابع الأميرية، 2009، ص668

[11] ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 426.

[12] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ص 133 -134

[13] الراغب الأصفهانى، مفردات غريب القرآن ، دمشق ، دار القلم، الدار الشامية - ط1، 1412ه، ص 380.

[14] القرضاوي يوسف، مدخل لمعرفة الاسلام: مقوماته، خصائصه، أهدافه، مصادره، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط1، 2001، ص 163، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط1، 2001، ص 115.

[15] محمد الصَّلَّابي علي محمد (المصراتي)، الوسطية في القرآن الكريم، القاهرة عين شمس، مكتبة الصحابة مكتبة التابعي، ط 1، 2001، ص 33

ويعرفها **عبد اللطيف فرفور**: "بأنها حالة محمودة غالبا ما تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة، وتعصمه من الميل على جانبي الإفراط والتفريط"[16] وهي التركيز على المعايير الدعوية السامية وأخذ الأمور دون تهويل وتضخيم ومبالغة ودون ميل ولا يقوم بها إلا الداعية المؤهل .

2- الوسطية في الاصطلاح الدعوي:

الوسطية هي منهج دعوي قويم يدعو إلى الاستقامة والنبل الدعوي والاعتدال في الخطاب الدعوي يمنع الداعية من الانزلاق في خطابه الدعوي وعمله الإسلامي.

إن من أولويات العمل الدعوي الوسطية التي هي خصيصة للدعوة، ملازمة له، ذلك أن الوسطية من خصائص الإسلام التي لا بد للداعية والمدعويين أن يطبقوها في كل الجوانب، فهي مطلوبة في العبادات والأخلاق، والداعية الوسط هو المعتدل في أموره وتصرفاته وفي فكره، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ [البقرة: 143] .

ومن مفاهيم مصطلح الوسطية الاعتدال والاتزان" إعطاء كل شئ حقه من غير زيادة ولا نقص، وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها"[17]، والمقصود من أولوية الوسطية الدعوية ضرورة انتهاجها من قبل الداعية الأصيل، ونبذ الافراط والتفريط في العملية الدعوية فتجدها " مختزلة في نشاطه الدعوي فيكون داعية محليا وجهويا ووطنيا وإقليميا وعربيا وإسلاميا "[18] ولقد شملت الوسطية في الإسلام جوانب كثيرة ومتعددة، فقد عمت جوانبه العقدية والتشريعية والأخلاقية .

---

[16] فرفور محمد عبد اللطيف ،الوسطية في الإسلام ، ط1،بيروت ، لبنان ، دار النفائس ، 1993، ص 27.

[17] بن حسن الشريف محمد ، التوازن والتنازع في حياة المسلم ، السعودية، ، مؤسسة الطباع والنشر، ص.13

[18] ينظر: عيساوي أحمد ، الدعوة الاسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية،ط1 ، 2016 ، دار الكتاب الحديث ، مصر ، ص 46، وينظر: محمد أبو الفتح البيانوني، الوسطية خَصِيْصَةُ الأمة الإسلامية، دار القلم للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص11.

3- حاجة أولويات العمل الدعوي إلى الوسطية

وفي هذا الشأن يقول **الصلابي**" فإن المتدبر في الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم يرى فرقا شاسعا في أهدافها واختلافا في منطلقاتها وغاياتها وفي مشاربها، يرى الإفراط والتفريط والغلو والجفاء والإسراف والتقتير في عموم الأمة، فإذا انتقلنا إلى حال الدعاة والمصلحين الذين أقض مضاجعهم هذا الواقع المؤلم لأمتهم، فشرعوا في البحث عن طرق العلاج ومعرفة أسباب النجاة والتمسك بها لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، نجد تأثير واقع الأمة على وضعهم، فمنهم المشرق، ومنهم المغرب، ترى المفرط والمفرط، نرى بين هؤلاء الدعاة والمصلحين من غلا وأفرط في الغلو، وهناك من فرط وجفا، وأضاع معالم الدين وأصول العقيدة، حرصًا على جمع الناس دون "[19] ويردف قائلا: " وبين هؤلاء وأولئك وقفت فئة تقتفي الآثر، وتصحح المنهج وتقود الناس إلى الصراط المستقيم على منهج أهل السنة والجماعة وسلف الأمة، ينفون عن هذا الدين غلو الغالين وانتحال المبطلين وتفريط الكسالى والمرجئين ودعاوى المرجفين الزائغين، ووسط هذا الواقع المؤلم والاضطراب المهلك تشتد الحاجة إلى إرشاد الأمة إلى الصراط المستقيم والمنهج الوسط القويم لإنقاذها من كبوتها وإيقاظها من رقدتها، وتذكير الدعاة والمصلحين بالمنهج الحق والطريق البين الواضح[20]: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿153﴾﴾ [الأنعام: 153].

لذلك أصبح الحديث عن الاعتدال والتوازن والوسطية الدعوية ضرورة ملحة في العمل الدعوي.

فإن المقصد من الوسطية أن يلتزم الداعية بالاعتدال في القول والفعل، فلا يغلو أو يتطرف ولا يقصر ويهمل في الخطاب الدعوي، والوسطية أو التوسط في العمل الدعوي في التصورات والأفكار والمواقف الفعلية، ليست مجرد وجهة نظر في الأمر الذي نتعامل معه، فهي الصواب باعتبار أنها جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بشكل لا لبس فيه، كسِمةٍ من سمات أمة الإسلام والشهادة، وأن هذه السمة موضوعة فيها لأجل تحقيق رسالة دعوية وإنسانية سامية، فالوسطية مطلوبة ليست سلوكًا فحسب، بل هي مطلوبة في الدعوة

[18] علي محمد محمد الصَّلَّابي(المصراتي)، الوسطية في القرآن الكريم، ص13. 19

[20] العمر ناصر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ط1، 1413 هـ ، الرياض دار الوطن ، ص 06-08.

إلى الله، وهو ما يؤكد على ضرورتها في توازن صيرورة حياة الإنسان، كما أن الوسطية هي أساس السلوك القويم للإنسان في الحياة، فعلى سبيل المثال، وفيما يخص إنفاق الإنسان في ماله وفي طعامه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [الفرقان: 67].

وبهذا الفهم الدقيق للوسطية كأولوية دعوية، يستطيع الداعية أن يستوعب الواقع، وأن ينزل عليه أحكام الإسلام بطريقة وسطية يلملم شعث الأمة بخطاب دعوي يراعي التوازن بين مناهج الدعوة، وبين العقل والوحي، وبين المادة والروح، وبين الحقوق والواجبات، ونجد أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله توضح بجلاء" اهتمامه بشؤون الحياة، وفي الوقت نفسه اهتمامه بشؤون الدين الحنيف لأن أحكامه ومناهجه ومثله هي مقاييس العدل، وموازين الحق، ومعايير الفضيلة، وأنها في الوقت نفسه سبيل السعادة والاستقامة والأمن والرضا..."[21]

إن الدعوة إلى الوسطية مطلوبة في كل شيء " دعوة من الله خالق البشر، والمتصرف في هذا الكون إلى عباده كي لا يغالوا في طلبهم للآخرة والاستغراق في الطاعة والعبادة تاركين الدنيا وراء ظهورهم، لا نصيب لهم منها، بدعوى الزهد والتقوى والمحبة والشوق، فينهاهم عن نسيان النصيب المقدر لهم، والمطلوب منهم كي يبنوا ويشيدوا ويعمروا حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، وبذلك يتحقق الإحسان، وينتفي الفساد، والله لا يحب المفسدين" [22] فلابد أن تكون حاضرَة في الخطابة الدّعوية، ووضعها في مراتبها بناءً على معايير شرعيَّة يهدي إليها الوحي الربّاني والاجتهاد البشري، فأحكام الإسلام جمعت بين عبادات روحية وبدنية ومالية لبناء مجتمع متوازن في العقيدة والفكر والسلوك والأخلاق.

ثم إن أقوى ما يجذب الناس إلى الإسلام هو أن يروا في دعاته مثالا عمليا للوسطية في مضامينهم الدعوية، ومراعاتهم الأولوية في سائر الجوانب العملية والتطبيقية، و" إن من الخلل الكبير تعميق الهوة بين المنحرفين والإسلام، بتشديدنا عليهم، بل علينا أن نوضح لهم أن الإسلام يقبل توبة التائب ويجب ما قبله، فهو رحمة وتوسعة وشفقة، وجنة، لكل من أقبل على الله، وتصالح معه " [23].

---

[21] محمد الصالح، وسطية الإسلام وسماحته، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص.21، الموقع: https://shamela.ws/book/1282/21

[22] بو الحديد محمد، المذكرة في فقه الدعوة إلى الله، بيروت، دار الكتب العلمية، 2017، ص 73.

[23] الوكيلي محمد ، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، بيروت، لبنان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 2006،ص 99، 100.

ومن بين الآثار، التي تحققها الوسطية الدعوية التصدي للتطرف الفكري والسلوكي وللجماعات التي تنفذ مضمون ما يأتي في هذا الخطاب، ذلك أن الفهم الضيق للدين الإسلامي هو ما حوّل تلك الممارسات الدينية إلى وسيلة لتقويض وإجهاض الوسطية والتوازن الدعوي لدى الكثير من الدعاة، والدعوة إلى الغلو والتطرف في الأمور الفرعية والخلافية، على غرار تلك الكليات والجزئيات، أين ظهرت الأفكار الدعوية الهدامة والدخيلة على المجتمع، وأثرت على طبيعة الممارسات الدعوية، ومن ثم فالسلوك المنحرف للداعية المتطرف ، قد أدى إلى وجود الصراعات والتناقضات التي عرفتها الدعوة الإسلامية ، فالتطرف الفكري والديني يبقى ظاهرة مرضية يتبعها سلوك الكراهية والعدوان والعنف في بعض الأحيان، وفي هذا يقول محمد الغزالي: " إن هناك دعاة وعلماء جل بضاعتهم هذا الدخن، ولقد تسلل في أعصار متطاولة حتى بلغ هذا الجيل كثيفا سخيفا، ثم غلب على ثقافتنا النظرية، وسياستنا العملية فلم يكن عجبا أن يتراجع الإسلام عن أقطار بلغها، بل أن يهدد في بيضة نفسها لولا بقايا من لطف الله... "[24]، وهذا النوع من الفكر المتشدد الذي ينفرد بكل أنواع التطرف الفكري والديني نتج عنه تطرف سياسي وعرقي، ولعل مردّه الفهم الخاطئ للتدين في الإسلام وهو ما يعكس تمثلات أزمة العمل الدعوي بخطابه الديني الذي اهتز وأصابه الفشل.

ومن الأدوار التي تلعبها الوسطية الدعوية، محاربة الخلل والقصور والنظر في الفروع والجزئيات، التي ينظر إليها من طرف القائمين بنظرتهم المستقلة المجردة عن أطرها والانشغال بها منفصلة عن أصولها وكلياتها، مما يشوه الحقائق ويحيد بالإنسان عن الصواب، فتضيع الجهود الدعوية، وتضل النتائج، وتستفحل المشكلات وتتوسع العقبات ، وهنا يأتي دور التوازن الدعوي في استئصال سلوك العنف والتطرف من المجتمع وتعليمه وتزويده بالأدوات الصحيحة للخطاب الدعوي الإسلامي ضمن ثقافة التدين السليمة، والدعوة إلى التعريف بمقاصد الشريعة والدين، التي تدعو إلى التسامح و الاعتدال والعقلانية.

[24] الغزالي محمد ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، أم البواقي، دار الهدى، ط 1، 1988، ص 125

ولن ينجح العمل الدعوي في إقناع المدعويين والتأثير فيهم إلا إذا تجلت فيه وسطية الإسلام، وكان متوازنا، ومن جملة ما ينبغي مراعاة التوازن فيه ما يلي:

- التوازن في المواءمة بين العلم والفكر والعاطفة، فلا يطغى واحد منها على الآخر إلا لوجود مقتض خاص.
- التوازن في تناول المضامين، وذلك لاختلاف حاجات المدعويين وتعدد مشكلاتهم وأمالهم.
- التوازن على مستوى اللّغة المستخدمة لاختلاف الناس في المستويات العلمية والثّقافيّة.
- التوازن على مستوى الأساليب المستعملة، لاختلاف مداخل نفوس الناس ومفاتيح قلوبهم، ولأن الإفراط في استعمال أسلوب واحد لا يؤدي إلى تحقيق الهدف من العمل الدعوي.

أن يمتلك الداعية الأصيل والقائم بالعمل الدعوي، الأسلوب الدعوي المناسب والموعظة الحسنة، وأن يتحلى بالصبر والتحمل لما قد يواجهه من مشاكل وعقبات، وأن يكون عالما بأصول الدعوة إلى الله.

وخلاصة القول، أن الوسطية الدعوية كمرتكز من مرتكزات العمل الدعوي والتي تعني الاعتدال والتوازن في الخطاب الدعوي والعمل الإسلامي، وحمل الداعية المدعويين على التوسط هو الموافق لقصد الشارع وغرضه، فالعمل الدعوي يجب أن يراعي الوسطية والتوازن بين العقل والوحي وبين المادة والروح، مراعيا جميع جوانب الحياة دون تشدد ولا غلو مقيت، وأن يكون متجدداً منوعاً مراعياً الأولويات الدعوية.

المطلب الثالث: الواقعية الدعوية

يتسم العمل الدعوي بالواقعية، وتعتبر هذه الأخيرة من مسارات العملية الدعوية، فالدعاة إلى الله وهم يتحركون بدعوتهم في دنيا الناس، لابد أن تصاحبهم الواقعية في كل خطواتهم، نظرا للعقبات الكثيرة والعراقيل العديدة والأحداث الجسام التي يفرزها الواقع المتغير والمتحرك ويتمخض عنها كل حين، والضخ الفكري والإعلامي والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يصاحب كل ذلك، والأزمات التي تتوالد بشكل مستمر، وتأثير ذلك على الدعوة والدعاة مما يحتم عليهم أن يتعاملوا معه بواقعية وموضوعية، واقعية في التفكير، واقعية في التصور، واقعية في التحرك، واقعية في التعامل، واقعية في السلوك.

فماذا تعني حقيقة الواقعية في العمل الدعوي ومدى حاجة الدعاة لها وهل هي ضرورية للدعوة وشرطا من شروط الداعية ؟

1- الواقعية لغة واصطلاحا

الواقعية لغة: ترد بمعان عدة، أبرزها: **الحقيقة:** يقال هذا أمر حقيقي، أي: "واقعي وموجود بالفعل[25]"ومن معانيها أيضا: **العمل والفعل:** يقال الأمر هذا واقعي، أي: عملي وفعلي "[26]. كما توجد اشتقاقات كثيرة للفعل (وقع)، قال **ابن منظور**: وقع الشيء ومنه يقع وقعا ووقوعا سقط ووقع الشيء من يدي كذلك وواقعه غيري"[27]، والموقع: مكان الوقوع وموضعه، " تطلق الواقعية على ما وقع ووجد بالفعل، وهي بذلك مرادفة للحادث والواقعي هو المنسوب إلى الواقع، ويرادفه الوجودي والحقيقي، ويقال رجل واقعي، أي: يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع، ويتخذ إزاءها ما يناسبها من التدابير دون التأثر بالأوهام أو الأحلام، ويقال أيضا واقعية التفكير، أي مطابقته للواقع.

أما في الاصطلاح: تُطلق الواقعية في المسار الدعوي على فقه الواقع، باعتباره مركبا لفظيا، لكن الواقع بوصفه مفهوما لم يتعرض له الباحثون، أو بالأحرى لم تكن له دلالة اصطلاحية، إلا في بعض الإشارات، وقد عرفه **الجرجاني** " بالعقل الفعال[28]، والعقل غير المادي والذي هو أقرب إلى عالم الغيب، بل يعني تعامل الشرع مع الواقع الموجود وتوجيهه نحو الصلاح، وهو فهم الواقع .

يبدو أن مفهوم الواقعية أو الواقع كمصطلح محدد يلتبس معناه، غير أننا نستجلي للعديد من المفكرين تعاريفهم لهذا المصطلح، وحسبنا الإبانة على ما يأتي :

يرى القرضاوي يوسف إلى أنّ المقصود بالواقعية أنها "تراعي الواقع القائم وتُشرع ما يعالج أدواءه وما يقيه منها "[29]

وهذا مسار ينبغي أن يهتدي إليه الداعية إلى الله لمعرفة طبائع الخلق، حيث يرى أمين الدميري أن الواقعية هي : "مراعاة واقع الحياة، من حيث إنها معبرة للأخرة، ومزرعة لها[30]"

[25] أحمد مختار عبد الحميد عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1 ، ص 533.

[26] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج4 ص 1556.

[27] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 200.

[28] الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، ص 323.

[29] القرضاوي يوسف، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ،ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993،ص 110 .

[30] أمين الدميري، التدرج من واقعية الإسلام، شبكة الألوكة، تاريخ الزيارة :2024/03/03،

محاول صياغة تعريف الواقعية الدعوية:

وتأسيسا على ماسبق، ففقه الواقع أو الواقعية الدعوية: " هي فهم الداعية ما ينبغي إنجازه، وفهم الإمكانات المتاحة لذلك، مع تصور صحيح للعقبات التي تحول دون ذلك من غير شطط، ولا إفراط ولا تفريط، مع حساب نسبة معقولة للمفاجآت والأخطاء التي تقع"[31].

ولقد وسع **عبد المجيد النجار** في المفهوم، حيث اعتبر أن الواقع " ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث " [32].

ويمكن القول إن فقه الواقع هو فهم المستجدات وواقع الدعوة وفق التصور الاسلامي، وتقديم الرؤية الصحيحة من قبل الدعاة، لأن الدعوة شيء وواقعها شيء آخر، والداعية الأصيل يطبق الدعوة وذلك الفهم العميق لما تدور عليه حياة المدعوين وما يعتريها وما يواجهها من مستجدات.

وقد أشار إليها **أحمد عيساوي** بأنها "الرؤية الشمولية لكل المعطيات الواقعية، الجغرافية والديمغرافية الرقمية والرمزية، والفكرية، والفلسفية، والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، والاتصالية، والإعلامية والسياسية، التي تشكل أطر علاقات المجتمع البشري والمحلي والإقليمي والعالمي، ويدخل في فقه الواقع- علم فقه المواقع... وهذا العلم الواقعي يفرض على الداعية أن يحسن التعامل مع فقه المواقع والتموقع..."[33]، ولاشك أن هذا تعريف دون تمطيط أو تفريط لأنه يلامس خلاصة القول في فقه الواقع في الدعوة.

---

[31] بكار عبد الكريم ، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص 249.

[32] النجار عبد المجيد ، في فقه التدين فهما وتنزيلا، سلسلة كتاب الأمة، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر، محرم، 1410هـ، ع 22، ج1، ص 111.

[33] عيساوي أحمد ، الدعوة الإسلامية، ص 49، 50.

2- حاجة الدعاة لفقه الواقع:

إن التفكير الواقعي للدعاة في معالجة " شؤون الناس هو الذي أنجح الإسلام والعمل الدعوي قديما، وجعل الناس يدخلون في دين الله طوعا، أما معظم المشتغلين بالدعوة اليوم فأبعد شئ عن قضايا الشعوب المصيرية الشاملة [34]، وعلى الدعاة المسلمين من سلف وخلف أن يلتزموا أسلوب القرآن الكريم والسنة العملية في عرض المعتقدات والرائع أن يشتغلوا بتقديم حلول للأزمات المادية والمعنوية؛ وأن يعيشوا حال أوطانهم واحتياجات الواقع المعاصر. ولذلك **قال ابن تيمية:** "من لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الدين، لم يعرف أحكام الله عز وجل في عباده"[35]

ففقه الواقع من خصائص الإسلام، وهو منهج المشتغلين بالعمل الدعوي والإسلامي، وعلى الداعية أن يضطلع بهذا المنهج و لن ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم، حتى يعرف كيف يدعوهم، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر أو ما يطلق عليه "الثقافة الواقعية للداعية". وأشار **علي جريشة** إلى " ضرورة إلمام الداعية بظروف المكان والزمان الذي يتحدث فيه أو يدعو إلى الله في دائرته "[36]

إن النزول إلى الميدان وإبصار الداعية بالواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطلاع ما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تتنزل عليهم في واقعهم، في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة، إنما هو فقه الواقع،"[37] ومما يساعد على بناء تصور صحيح لفقه الواقع:

الممارسة الميدانية:

عرّفها **الطيب برغوث** بأنها مباشرة الدعوة ميدانيا، من خلال تعامل الداعية اليومي مع الناس بالإسلام، من خلال تعميقه وتوغله في أعماق النفوس والمجتمع، والمتعمق في سير الدعاة والمشتغلين بالدعوة إلى الله تجدهم يعيشون مع الناس في أسواقهم، ومتاجرهم، وأفراحهم، وأتراحهم، ويختلطون بهم ليعرفوا ما يشغلهم؟ فالدعوة ليست استظهارا للنصوص الشرعية

[34] بتصرف، عيساوي أحمد ، الدعوة الإسلامية، ص 50.

[35] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جامع الرسائل،ط1، تحقيق محمد سالم. ط1، الرياض: دار العطاء،ج2، 1422هـ ص 305

[36] جريشة علي ، دعوة الله بين التكوين والتمكين، مكتبة وهبة، مصر، 1986، ص 60.

[37] حسين عبيده: عمر فقه الواقع أصول وضوابط، تقديم: أحمد بوعود، سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف، قطر، ط1، كتب الأمة، ص 16.

واستعراضا للمعارف والمعلومات،...[38] بقدر ماهي معاناة يومية وفكرية ونفسية واجتماعية، ، واكتشاف للسنن والقوانين الاجتماعية التي يخضع لها سير المجتمع، مدا وجزرا ،صعودا وهبوطا، قوة وضعفا...بما يحقق للعمل الدعوي الاستخلاف والتمكين والقدرة على الاقناع واستمالة القلوب.

كما يعتبر من أهم ركائز الداعية بما يلائم واقعه، ويحقق غايته، ويؤتي أكله، فهو ليس بدعا وتمييعا للدعوة وغايتها وأهدافها، بحجة مسايرة الواقع حتى يطاوعه بل هو قضية واقعية علمية عملية يراعى فيها الداعية الظرف وفي كل حين، ففقه الواقع من ترتيب الأولويات، ومن الأمور المهمة التي تقارب بين العاملين بين الساحة الدعوية، وتجعلهم منسجمين مع واقعهم، ومتفهمين لخلافاتهم، كما يؤكد هذا المعنى **البيانوني** بقوله: " أنّ هذا الفقه يعطي الدعوة ثماراً أسرع وأدوم، لأنه يجعل الدعوة تسير بشكل انسيابي مع الواقع"[39]. فالداعية بحاجة إلى فهم فقه الواقع من مستويين، فقه دعوي وهو فهم عميق للأركان العملية الدعوية وللنصوص الشرعية، وفقه واقعي، مبني على دراسة الواقع دراسة دقيقة، حتى لا تتسع المسافة بين النظرية الإسلامية وتطبيقها في هذا الواقع، " ومن أولى وأعقد المشكلات، التي تواجه العامل في سبيل الله، مشكلة فهم الواقع الانساني على المستويين الفردي والجماعي، وذلك بسبب تعقد النفس البشرية، وتعقد ما تقيمه من علاقات، في ما تبنيه من نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية "[40].

وانطلاقا من هذا، نقول إن حاجة الداعية إلى الله لفقه الواقع أمر ضروري وإلا وقع في أخطاء جسيمة، وأصبحت دعوته عفوية عشوائية، ويصبح بعد ذلك عملا دعويا محكوما عليه بالفشل، شرط عدم استبحاره وتوغله في الواقع وجهله بمقاصد الشرع، حتى لا تقع الفجوة بين الداعية والمدعو والرسالة الدعوية، لذا يشترط في الداعية أن يكون على درجة عالية من الخبرة بالواقع وملابساته الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهو ما أصبح اليوم قائما على النظريات والقوانين العلمية حتى تصيب العملية الدعوية أهدافها بسهولة.

---

[38] ينظر: برغوث الطيب، الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية، ص 130 - 132

[39] محمد أبو الفتح البيانوني، التعددية الدعوية، دارسة منهجية شاملة، نشأتها وتطورها ومظاهرها ومواقف الناس منها وإيجابياتها وسلبياتها ط1، الكويت، دار اقرأ للنشر والتوزيع، 2006، ص 206

[40] برغوث الطيب ، الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية ، ص130.

مراعاة أحوال المدعوين:

إن دراسة حال المدعوين والمخاطبين ومستوياتهم ومختلف شرائح المجتمع في شتى التخصصات، ثقافيا وفكريا، وحضاريا، وتاريخيا، كل ذلك بحاجة إلى إلمام وإحاطة وقوة استيعاب من طرف الدعاة ، فالمدعوون هم العنصر الأساس من عناصر الدعوة إلى الله عز وجل.. إذ ما شرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أرسلت الرسل إلا لدعوتهم، لذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاههم بما يناسبهم.

فمعرفة ما عليه المدعوون من طرق المعيشة، والثقافة وحالة التقدم والتخلف والتدين والدين الملتزم به، أمر في غاية الأهمية، وهو من فقه الواقع، وقد اهتدى بعض الدارسين إلى تقسيم المدعوين إلى ثلاثة فصائل[41]:

أصحاب الفطر السليمة.

أصحاب الفطر المدخونة.

أصحاب المناوأة والاستكبار الكيدية الداخلية والتأمرية الخارجية.

3- مؤهلات الداعية الأوليّ

التعامل الإيجابي مع الواقع:

إن أول ما ينبغي إدراكه من طرف الداعية الواقعي، أن يتعايش مع هذا الواقع - محل تنزيل الأحكام الشرعية والأولويات الدعوية – تعايشا إيجابيا يمكنه من تصور هذا الواقع الدعوي بدقة حتى لا تختل بسببه الأولويات الدعوية، فالذي يعيش في هامش الحياة، ولا يتأثر بواقعه أو يؤثر فيه لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذا العالم وما يجري فيه، ولهذا من لوازم هذا العلم أن تتفاعل مع الأحداث تفاعلا إيجابيا، تفرح لكل خبر مفرح، وتحزن لمآسي المسلمين ومصائبهم، ولا تتوقف عند مجرد التأثر فرحا أو حزنا، وإنما يجب أن تكون مؤثرا في الواقع، متجاوبا مع أحداثه بحسب الحاجة والطاقة.

[41] لمزيد الاطلاع ينظر، أحمد عيساوي، الدعوة الاسلامية، في قرن التكنولوجيات العولمية، ص 58-66.

النظرة الشمولية للواقع:

لا يعتمد فقه الواقع على النظرة الجزئية، فينظر إلى جانب ويهمل جوانب أخرى، وإنما تكون نظرة الداعية للأمور بصور كلية، لأن فقه الواقع مبني على دراسة الواقع المعيش، ومن ذلك من اللغو على كثير من المشتغلين في الساحة الدعوية على أمور هامشية، وتدع تلك الثغرات الهائلة، دون أن تسدها بكتائب المؤمنين الصادقين[42].

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذه الظاهرة وعاب على أهل الكتاب من النصارى مغالاتهم في تصورهم عن الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: 171] والدعاة إلى الله أولى من أهل الكتاب بالاعتبار والإنتهاء عن الغلو في الدعوة الإسلامية لغرض تحقيق مكاسبها والحفاظ على مستقبلها .

وبيَّن بعض الدارسين أن هؤلاء الدعاة غير الموفقين من أسباب هزائم المسلمين، وذكروا أن الدعاة الذين سببوا- مع غيرهم من أسباب- هذه الهزائم، يعسرون ولا ييسرون، وينفرون ولا يؤلفون، سنن العادات يجعلونها سنن عبادات، ويلزمون الناس بما لا يلزم، إذا اشتجرت الآراء في موضوع، هل هو مباح أو مكروه؟، رجحوا الكراهية، وهل هو مكروه أو محرم؟، رجحوا التحريم!.[43]

ومن صور الشمولية للواقع؛ التوازن في عرض رسالة الإسلام من الوحي والنص، والتلقي من الكون والحياة.

وليس من النظرة الواقعية للدعوة في شيء،" مخاطبة الناس بما لا يعنيهم، كالكلام عن مشكلات مجتمع آخر في مجتمع ليست به هذه المشاكل، أو إثارة فتن نائمة، وشبهات اندثرت هي وأصحابها[44].

---

[42] القرضاوي يوسف، " الصحوة الإسلامية، بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم "، من ص 145 – 157، وينظر: الغزالي محمد ، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، القاهرة: دار الأنصار، ط1، 1981، ص 39.

[43] المرجع السابق، ص113- 114.

[44] ينظر: عدنان محمد آل عرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ص 17.

وهذا سبب واضح في قصر النظر والضعف عند بعض المنتسبين في الحقل الدعوي من نظرتهم بين الواجبات والمفاسد والمصالح، مما جعل بعضهم يقدم المهم على المهم، ولهذا فقيادة العمل الدعوي بحاجة إلى عقول راجحة ودعاة ذوي نظرة شاملة لكل الأحداث بعيدا عن السطحية والعاطفة .

سعة الاطلاع:[45]

فقه الواقع يحتاج إلى سعة الاطلاع، لأن مرجعه الرئيس هو الواقع بكل مظاهره، وهذا يحتاج من الفقيه إلى معرفة كثير" من الفنون، سواء العلوم الشرعية كالعقيدة والفقه، أو العلوم الاجتماعية كالتاريخ، أو العلوم المعاصرة كالسياسية والإعلام، وهلمّ جرا، وإذا قصر في أي علم من هذه العلوم أو غيرها مما يحتاج إليه، فسينعكس ذلك سلبا على قدرته في فهم فقه الواقع، وتقويم الأحداث، والحكم عليها" ولابد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية أو ما يطلق بالامتلاء الفكري "واذا كانت الثقافة الدينية لازمة للداعية في الدرجة الأولى، فإن الثقافة الأدبية واللغوية لازمة له كذلك، ولكن الأولى تلزمه المقاصد والغايات والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات "[46]

إنّ على الداعية أن يعرف كيف يخاطب الناس بما لا ينفر منه نفوسهم، وكيف يسلك في إصلاحهم بما لا يدعوهم إلى محاربته، عن كره نفس واندفاع نفسي عاطفي، فيحرم نفسه من الدعوة إلى الله، ويحرم الناس من علمه.

وهذا يؤهله إلى أن يحدث الناس بما يعرفون ويعقلون ويدركون ويفهمون، وبما يحتاجون إليه، وبما ينفعهم، وبما يقدرون عليه، وسيحاسبون عليه، ولا يحدثهم حديثًا، لا تبلغه عقولهم[47].

فسعة الاطلاع تدل على " الموضوعية وعن احترام السامعين حيث يترك لهم حرية اختيار ما يرونه مناسبا وأقرب إلى الصواب، والداعية بفهمه الثاقب وحسه المرهف يميز بين هذه الأحوال المختلفة..."[48]

---

[45] عدنان محمد آل عرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ، ص 18.

[46] أصول الدعوة، جامعة المدينة العالمية، السعودية، ص 290، الموقع: https://shamela.ws/book/12202/267، تاريخ الزيارة 18_09_2023

[47] سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله- تعالى، د ط، ص 97، 98.

[48] عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ج3، ص 158.

4- المضامين الدعوية الواقعية

يحتاج العمل الدعوي إشرافا فكريا وروحيا، يليق به رجال من أهل العلم العارفين بالواقع، الذين يحملون الملكات الاجتهادية ممّا يمكنهم من ارتياد ناصية الدعوة ووضعها في مساراتها الصحيحة، حتى لا تخطئ الطريق أو تحيد عن الهدف والغاية، وأن ينضّجوا لها المضامين الواقعية والعقدية والفكرية والوظيفية أو الحركية التي تتناسب في إطارها العام، فلا يصلح أن تخرج عن ذلك وهي تنتمي للمجتمع،" والتغيير لا بد له من إدراك المراد الإلهي أولاً ومن ثم آليات فهم المجتمع بالمستوى نفسه، حتى يتم الإنجاز"[49]، وأهم هذه المضامين :

المضمون المنطقيّ والعميق:

المضمون الدعوي الذي يقدمه العمل الدعوي يشمل الموضوعات الثلاث المتكاملة: العقيدة، والشريعة، والأخلاق، فالعقيدة تشمل أصول الدعوة، وهي عبارة عن الإيمان بالله ﷻ، وبرسوله الكريم ﷺ وبالملائكة والكتب المنزلة واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وتميز العقيد الصحيحة من الفاسدة، والشريعة تتكون من فروع الدعوة، وهي التشريعات والعبادات التي فرضها الله تعالى،- أما الأخلاق فهي النتاج الطبيعي للعقيدة والشريعة، وهي المحاسن النفسية التي تظهر قولا وفعلا بخطاب دعوي يتصف بالوضوح ، ولقد وضع الشرع الكريم الألويات الدعوية التي ينبغي أن تكون ذات مضمون عميق والعمل بها من أهم الضمانات لنجاح الرسالة الدعوية وبخاصة في الواقع المعاصر، للوصول الى درجة عالية من النجاح الدعوي، فينبغي للمبلّغ الدعوي عندما يتحدّث مع عامّة الناس أن لا يكون حديثه عاميّاً، فيلقي من المضامين الدعوية غير المنطقية من دون ضابطة بذريعة أنّ المخاطَب أمّيّ أو شبه أمّيّ، وعليه في مثل هذه الأوساط أن يعتمد خطاباً دعويا بسيطاً، ففنّ التبليغ والدعوة يتطلّب منه أن لا يخلط بين الكلام البسيط وبين التفكير السطحيّ،" لقد تقررت الواقعية حين كانت سنة الله تعالى الجارية في نظام الخلق قد قضت باشتراك اللسان بين المخاطب والمخاطب، وبين الداعية والمدعويين، فهذا أدعى إلى تحقيق مضمون الخطاب، لما ينشأ عنه حسن الفهم والتعقل،[50]

[49] عمر عبيد حسنه، فقه الواقع ضوابط وأصول، ص 35 .

[50] زياد خليل الدغامين، دعوى النسخ في القرآن الكريم في ضوء واقعية الخطاب القرآني، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهامشية، 2009، ص 104.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ **[إبراهيم: 4]**، ولا إشكال في توجيه خطاب بسيط إذا كان المستمع من العامّة ومستواه منخفضاً، لكنّ بساطة الحديث لا تعني الخطأ في الحديث، ومن ضوابط المضمون التبليغيّ إجمالاً الكلام المتقن، الإقناع على المدى الطويل، ومواكبة مقتضيات الزمان، و مراعاة الاعتدال، مراعاة الأولويّة، و تحاشي التكفير.

الخاتمة:

نجاحُ العمل الدعوي مرهون بالأخذ بهذه الضوابط والمرتكزات وعلى الداعية أن يكون محيطا بأهمها، فالأصالة والمعاصرة والوسطية الدعوية والواقعية الدعوية أبانت على نجاح العمل الدعوي، لذا وجب على الدعاة الالتزام بمثل هذه الضوابط والمرتكزات لإيصال دعوتهم للناس جميعا ومن أبرز النتائج المتوصل اليها، أن الوسطية والواقعية الدعوية ومراعاة أحوال المدعويين وسعة الإطلاع والحرص على دقة المضامين الدعوية في وقتها وزمانها ومكانها يعتبر من مكامن النجاح الدعوي، وقد تمَّ التوصل إلى جملة من النتائج أبرزها :

- ضرورة تفعيل ضوابط الدعوة إلى الله: الأصالة والمعاصرة، والوسطية، وفقه الواقع، والتي لها دور فعال في توصيل الشريعة الإلهية على بصيرة لتخرج الدعوة من ضيق المكان ومُحدودية الزمان ولا يحسنها إلا أهلها من الدعاة المأمونيين القائمين على مصلحة الأمة.
- على القائمين على العمل الدعوي الاستفادة من هذه الضوابط والمرتكزات لعرض الدعوة الإسلامية بكل دقة و وضوح بعيدا عن اللبس والإبهام، لان الداعية إلى الله متكامل الجوانب مكين أخلاقيا وروحيا .
- تحتاج الدعوة إلى العديد من الجهود المتعددة ، وهذه الجهود يُسن أن يتوفر لها التخطيط والتنظيم السليم، والبعد عن الفوضى التي تؤدي إلى عدم وضوح الرؤيا في مايقدم من عمل دعوي للتأكد من سيره وفق المنهج الصحيح مع تخيّر الأساليب الدعوية والاستعانة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية لفهم الواقع للبعد عن الانحراف والشطط .
- للقائمين بالدعوة مقومات يجب الاتصاف بها، ومنها: المقومات النفسية، والمقومات الروحية والمقومات السلوكية والأخلاقية والمقومات النظرية العلمية والمقومات السلوكية المهاراتية الفنية إذا رام نجاح دعوته وليكونوا بحق شهداء على الناس .

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.**

1. أحمد أبو سليمان عبد الحميد ، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1991.
2. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جامع الرسائل،ط1، تحقيق محمد سالم. الرياض: دار العطاء،ج2، 1422هـ
3. بن وهف القحطاني سعيد بن علي ، الحكمة في الدعوة إلى الله- تعالى، د ط، الشريف، محمد بن حسن، التوازن والتنازع في حياة المسلم، مؤسسة الطباع والنشر، السعودية،
4. بو الحديد محمد ، المذكرة في فقه الدعوة إلى الله، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
5. البيانوني محمد أبو الفتح ، التعددية الدعوية، دارسة منهجية شاملة، نشأتها وتطورها ومظاهرها ومواقف الناس منها وإيجابياتها وسلبياتها ط1، الكويت، دار اقرأ للنشر والتوزيع، 2006.
6. الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، ، دار الكتاب العربي ، ج1،
7. جريشة علي ، دعوة الله بين التكوين والتمكين، مكتبة وهبة، مصر، 1986.
8. حسين عبيده عمر: فقه الواقع أصول وضوابط، تقديم: أحمد بوعود، سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف، قطر، ط1، كتب الأمة.
9. حنفي حسن ، الأصالة والمعاصرة، صحيفة الاتحاد، مقال منشور في 21يونيه 2014م.
10. الراغب الأصفهانى، مفردات غريب القرآن ، دمشق ، دار القلم، الدار الشامية ط1، 1412هـ، زياد خليل الدغامين، دعوى النسخ في القرآن الكريم في ضوء واقعية الخطاب القرآني، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهامشية، 2009،
11. الصالح محمد ، وسطية الإسلام وسماحته، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص 21، الموقع: https://shamela.ws/book/1282/21
12. عبد الحميد عمر أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008، ج2
13. عيساوي أحمد ، الدعوة الاسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية، ص 46، وينظر: محمد أبو الفتح البيانوني، الوسطية خَصِيْصَةُ الأمة الإسلامية، دار القلم للنشر والتوزيع، ط1، 2015،
14. الغزالي محمد ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر أم البواقي، ، دار الهدى، ط 1، 1988،
15. الغزالي محمد ، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، القاهرة: دار الأنصار، ط1 1981،.
16. القرضاوي يوسف ، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط1، 2001.
17. القرضاوي يوسف ، ثقافة الداعية، دار الشهاب، باتنة، 1988.
18. القرضاوي يوسف ، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، مصر، ط 1، 2001.
19. القرضاوي، يوسف مدخل لمعرفة الإسلام، مدخل لمعرفة الاسلام: مقوماته، خصائصه، أهدافه، مصادره، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط1، 2001 .
20. فرفور محمد عبد اللطيف ،الوسطية في الإسلام ، ط1،بيروت ، لبنان ، دار النفائس ، 1993.
21. ابن منظور، لسان العرب،دار صادر، بيروت، ط3، عام 1414هـ ج11.
22. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية2009.

23. محفوظ محمد ، معنى المعاصرة، جريدة الرياض، عدد، 16293، الثلاثاء 15ربيع الأول 1434هـ 22 يناير 2013م
24. محمد الصَّلَّابي علي محمد (المصراتي)، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة مكتبة التابعين، القاهرة عين شمس، ط 1، 2001.
25. ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، بحث منشور على صفحة الانترنيت، http://www.almoslim.net تاريخ الزيارة 18-09-2023 .
26. النجار عبد المجيد ، في فقه التدين فهما وتنزيلا، سلسلة كتاب الأمة ، قطر، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، محرم، 1410هـ، ع 22، ج1،.
27. الوكيلي محمد ، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، بيروت، لبنان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 2006،